القرآن والقتال

www.AlazharMag.com

الإمام الأكبر الشيخ: محمود شلتوت

تقديم: أ. د. محمد عمارة

الأزهر

حصار القسطنطينية - ١٤٥٣ م



القرآن والقتال

من بحوث فى القرآن الكريم

بقلم

فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت

عضو جماعة كبار العلماء

تقديم

أ. د. محمد عمارة

هدية رجب ١٤٣٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالإمام محمود شلتوت

(١٣١٠ـ١٣٨٣هـ ١٨٩٣ـ١٩٦٣م)

● ولد ـ رحمه الله ـ «بمنية بني منصور» ـ مركز «إيتاى البارود» ـ محافظة البحيرة ـ بدلتا النيل ـ بمصر.

● تخرج في الجامع الأزهر الشريف.. وحصل على العالمية سنة (١٣٣٦هـ ـ ١٩١٨م).

● وعين مدرسًا بمعهد الإسكندرية الدينى ـ التابع للجامع الأزهر ـ سنة (١٣٣٧هـ ـ ١٩١٩م).

● وشارك في ثورة مصر الكبرى ضد الاحتلال الإنجليزى سنة (١٣٣٧هـ ـ ١٩١٩م).

● وانخرط مع تلاميذ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ ـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م) ـ وفي مقدمتهم الشيوخ: محمد مصطفى المراغى (١٢٩٨ ـ ١٣٦٤هـ ـ ١٨٨١ ـ ١٩٤٥م) ومصطفى عبدالرازق (١٣٠٢ ـ ١٣٦٦هـ ـ ١٨٨٥ ـ ١٩٤٦م) وعبدالمجيد سليم (١٢٩٩ ـ ١٣٧٤هـ ـ ١٨٨٢ ـ ١٩٥٤م) ـ في العمل على تطوير الأزهر وتجديد مناهج التعليم والتدريس فيه.. وبسبب ذلك، فصل الشيخ شلتوت من الأزهر سنة (١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م).. فعمل بالمحاماة الشرعية.. ثم أعيد للأزهر مع انتصار التيار الإصلاحى، وعودة المراغى إلى المشيخة ثانية سنة (١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٥م).

● مثّل الأزهر في المؤتمر الثانى «للقانون الدولى المقارن» ـ بلاهاى ـ سنة (١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م).. وقدم إليه بحثه عن «المسئولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية».

● نال عضوية «هيئة كبار العلماء» سنة (١٣٦٠هـ ـ

١٩٤١م) .. وكان أصغر أعضائها سنًا - وتقدم إليها ببرنامج لتنقية كتب التراث الإسلامي من الإسرائيليات .. وآخر لدفع الشبهات عن الإسلام.

● عين عضوًا بلجنة الفتوى فى الأزهر الشريف.

● نال عضوية «مجمع اللغة العربية» سنة (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م)، ضمن عشرة من كبار العلماء والفقهاء والفلاسفة والقانونيين.

● انتدبته جامعة فؤاد الأول - القاهرة - لتدريس مادة «فقه القرآن والسنة» لطلاب «دبلوم» الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق.

● عمل مستشارًا «للمؤتمر الإسلامي» - بمصر - سنة (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م).

● تولى وكالة مشيخة الجامع الأزهر .. ثم أصبح شيخًا له سنة (١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م) .. وصدر فى عهده قانون تطوير الأزهر سنة (١٣٨٠هـ - ١٩٦١م).

● شارك بنشاط فى «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» .. وفى تحرير مجلتها «رسالة الإسلام».

● استقال من مشيخة الأزهر - احتجاجًا على تقليص سلطاته - سنة (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م).

● وبعد استقالته بأشهر قليلة - خمسة أشهر - صعدت روحه إلى بارئها فى (٢٧ رجب ١٣٨٣هـ)، (١٣ ديسمبر ١٩٦٣م).

● ومن آثاره الفكرية:

١ - «الإسلام عقيدة وشريعة».

٢ - «من توجيهات الإسلام».

٣ - «الفتاوى».

٤ - «فقه القرآن والسنة».

٥ - «مقارنة المذاهب».

٦ ـ «منهج القرآن فى بناء المجتمع».
٧ ـ «المسئوية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية».
٨ ـ «القرآن والقتال».
٩ ـ «القرآن والمرأة».
١٠ ـ «تنظيم العلاقات الدولية فى الإسلام».
١١ ـ «الإسلام والوجود الدولى للمسلمين».
١٢ ـ «تنظيم النسل».
١٣ ـ «رسالة الأزهر».
١٤ ـ «إلى القرآن الكريم».
١٥ ـ «يسألونك».

● أما تقسيمه للسنة النبوية ـ التشريعية وغير التشريعية ـ فلقد عرض له فى كتابه «الإسلام عقيدة وشريعة»[١].

● ● ●

بهذا التعريف الموجز نقدم بين يدى بحث الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ـ سائلين المولى ـ سبحانه وتعالى ـ أن ينفع بهذا الكتاب.. وأن يتغمد إمامنا الجليل بواسع رحماته.. إنه ـ سبحانه ـ خير مسئول وأكرم مجيب.

دكتور/ محمد عمارة

---

(١) لتفصيل الحديث عن حياة الشيخ محمود شلتوت وفكره انظر كتابنا «الشيخ شلتوت: إمام فى الاجتهاد والتجديد» طبعة دار السلام ـ القاهرة سنة ١٤٣٢هـ سنة ٢٠١١م.

تمهيد

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد بعثه الله رحمة للعالمين، وأنزل عليه القرآن تبيانا لكل شيء فرسم للناس حدود العقيدة الصحيحة، ودوائر الأخلاق الفاضلة وأرشدهم إلى ما ينظمون به علاقة بعضهم ببعض على وجه يدفع الطغيان، ويحفظ الحقوق وبعد فهذا بحث عن القتال فى نظر القرآن، ألقيته فى محطة الإذاعة اللاسلكية المصرية من سنين فى سلسلة من المحاضرات، وأردت الآن نشره على الناس مرة أخرى فى رسالة مطبوعة ليتمكنوا من قراءته فينتفع به من يحتاج إليه، ويبدى رأيه فيه من يكون فى غناء عنه.

وقد ضمنت مقدمته بيان الطريقة المثلى فى نظرنا لتفسير القرآن الكريم، وألمعت إلى السبب الذى حملنى على اختيار هذا الموضوع من بين موضوعات القرآن.

أما البحث فقد تناول: طبيعة الدعوة الإسلامية- القرآن ومشروعية القتال- القرآن وتنظيم القتال وأحكامه المبدئية والنهائية ثم ذيلت فصول هذا البحث بخاتمة بينت فيها أن القتال العملى الذى قام به الرسول ﷺ فى غزواته. وقام به خليفتاه بعده فى حروبهما كان تطبيقا صحيحا لما قرره القرآن فى تشريع القتال وتنظيمه وأحكامه لم يحد عنها قيد أنملة.

وهذا ما ستقرأ تفصيله فى تلك الرسالة وأرجو أن يكون الله قد ألهمنى فيه الرشد والسداد

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

محمود شلتوت

ربيع أول سنة ١٣٦٧ هـ
يناير سنة ١٩٤٨م



الطريقة المثلى فى تفسير القرآن

لتفسير القرآن الكريم طريقتان :

● أحدهما أن يسير المفسر بتفسيره مع آيات الذكر الحكيم وسوره على الترتيب القرآنى المعروف ، فيفسر المفردات ، ويربط الآيات ، ويبين المعانى التى تدل عليها . وهذه هى الطريقة التى عهدها الناس منذ كان التفسير وكان المفسرون .

ومن مظاهر هذه الطريقة اختلاف طرق التفسير باختلاف روح المفسرين . فمن غلبت عليه روح العلوم البلاغية عنى فى تفسيره بالتطبيق على قواعدها ، ومن غلبت عليه روح النحو والصرف ، عنى فى تفسيره بإعراب الكلمات وتصريفها ، ومن غلبت عليه الروح التاريخية ، عنى بالقصص والأخبار ، وربما أسرف فأدخل فى التفسير كثيرا من الإسرائيليات دون تحقيق ولا تمحيص ، ومن غلبت عليه الروح الفلسفية حبب إليه البحث فى الكائنات ، وعنى فى تفسيره بهذا الجانب ومن غلبت عليه روح الجدل الكلامى أو الفقهى تأثر فى تفسيره بما غلب عليه وهكذا . . وبهذه الأساليب المختلفة المتأثرة بهذه الاتجاهات المتعددة صعب على الناظر فى هذه التفاسير أن يجد هداية القرآن على الوجه الذى يطمئن إليه قلبه ، ويشق له طريق الحياة ، ويلهمه الرشد والسداد .

ولقد نجم عن هذه الطريقة ، أن عدل ببعض الآيات عن معانيها وأغراضها التى سيقت لها ، أو حكم فيها معنى لا تحتمله قضى عليها بالنسخ . وكثيرا ما تفسر الآية على مقتضى القواعد الأصولية التى استخلصها أرباب المذاهب من الفروع الفقهية واتخذوها أصولا تحاكموا إليها فى فهم القرآن والسنة واستنباط

٢- وقد عرضت لهذا الموضوع فى محاضرة ألقيتها فى جمعية الشبان المسلمين ونشرتها مجلة الرسالة فى العددين ٤٠٧، ٤٠٨ من السنة التاسعة

الأحكام، ولم يقف ذلك عند التشريع وآيات الأحكام، بل تعدى إلى العقائد وآراء الفرق، فتراهم يقولون. هذه الآية لا تتفق ومذهب أهل السنة فهى مئولة بكذا وكذا، كما يقولون: هذه الآية لا تتفق ومذهب الحنفية وتأويلها كذا وكذا، وكما يقولون: هذه الآية أو تلك الآيات- ربما بلغت السبعين- لا تتفق ومشروعية القتال فهى منسوخة..!

وهكذا صار القرآن فرعا بعد أن كان أصلا، وتابعا بعد أن كان متبوعا، وموزونا بغيره بعد أن كان ميزانا.

يقول الله تعالى:

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾

(النساء: ٥٩)

والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته، ولكن هؤلاء عكسوا القضية، وقلبوا التشريع، وردوا كتاب الله وسنة رسوله إلى مالهم من آراء، وما لمقلديهم من مذاهب وقد نقل الفخر الرازى وهو بصدد تفسير قوله تعالى:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

(التوبة: ٣١)

عن شيخه خاتم المحققين والمجتهدين: (قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله فى بعض مسائل، وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات، فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا إليها، وبقوا ينظرون إلىَّ كالمتعجب، يعنى كيف يمكن العمل بظواهر هذه الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها!)

وكما نقل الرازى عن شيخه هذا، نقل غيره عن كثير من العلماء كالغزالى والعز بن عبدالسلام مثله وأكثر منه.

●●●

كانت هذه الأساليب الملتوية فى تفسير القرآن، وهذه النكسة التى أصيبت بها علاقة القرآن بالفقه والعقائد، سببا فى حدوث فوضى فكرية فيما يتصل القرآن ومعانى القرآن، وكان لهذه الفوضى أثرها فى إعراض الناس عن القرآن، وعن الاستماع لمفسرى القرآن.

● أما الطريقة الثانية فهى. أن يعمد المفسر أولا إلى جميع الآيات التى وردت فى موضوع واحد ثم يضعها أمامه كمواد يحللها، ويفقه معانيها، ويعرف النسبة بين بعضها وبعض، فيتجلى له الحكم، ويتبين المرمى الذى ترمى إليه الآيات الواردة فى الموضوع، وبذلك يضع كل شىء موضعه، ولا يكره آية على معنى لا تريده كما لا يغفل عن مزية من مزايا الصوغ الإلهى الحكيم.

وهذه الطريقة فى نظرنا هى الطريقة المثلى، وخصوصا فى التفسير الذى يراد إذاعته على الناس بقصد إرشادهم إلى ما تضمنه القرآن من أنواع الهداية، وإلى أن موضوعات القرآن ليست نظريات بحتة يشتغل بها الناس من غير أن يكون لها مثل واقعية فيما يحدث للأفراد والجماعات من أقضية، ويتصل بحياتهم من شئون.

وهى تمكن المفسر من علاج موضوعات عملية كثيرة، كل موضوع منها قائم بنفسه لا يتصل بسواه، ولا يختلط بغيره، فيعرف الناس موضوعات القرآن بعناوينها الواضحة، ويعرفون مقدار صلة القرآن بحياتهم الواقعية: القرآن وأصول التشريع، القرآن والعلم، القرآن والأسرة، القرآن وأدب الاجتماع، القرآن

والسياحة، القرآن والاقتصاد، القرآن والتضحية، القرآن والبر..
وهكذا إلى آخر ما يمكن عرضه من موضوعات القرآن التي تعتبر بحق عمدا قوية في بناء الأمة ونهضتها. وبهذا يطمئن الناس بطريقة عملية واضحة إلى أن القرآن ليس بعيدا عن حياتهم، ولا عن نواحي تفكيرهم، ولا عن مشكلاتهم التي تعرض لهم في كل حين، يطمئنون إلى أن القرآن ليس كتابا روحيا فقط مهمته أن يشرح طرق القربى إلى الله من غير أن يعنى بشيء من وسائل الحياة.

ولقد سرت هذه الفكرة الخبيثة الباطلة في نفوس كثير من الناس من حيث لا يشعرون، ليس عند سواد الناس وعامتهم فقط، ولكن عند كثير ممن يزعمون لأنفسهم أو يزعم الناس لهم تفقها في الدين أو ثقافة ونبوغا في الحياة ولقد أصبح القرآن بهذا في نظر هؤلاء وهؤلاء كالأوراد يعكف عليها طوائف المريدين في أوقات الخلوة، واكتفوا منه بتلاوته، والاستماع إليه، والتعوذ به. والاستشفاء من الأمراض.

إنهم بهذا ظلموا القرآن. وظلموا أنفسهم وعقولهم. وظلموا الحياة الطيبة وحرموها ينبوعا لا ينتهي فيضه في العلم. والحكمة. والتشريع والسياسة والتربية والتهذيب. وكل ما تعالج به شئون الحياة.

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

(الإسراء: ٩)

وإذا كانت هذه الطريقة التي رسمناها تجدي على الناس هذه النموات الطيبة، وتقيهم سوء الظن بكتاب الله وتشريعه، فإنها تضع المفسر أمام الموضوع الذي يريد أن يعالجه وجها لوجه، وتلقيه في البيئة الخاصة به من الآيات، فيستعين ببعضها على

تفسـير بعض . وإن أقوم تفسـير للقرآن هو ما اسـتقاه المفسر من القرآن نفسه .

وكثيـرا مـا يغيب عـن الناظر فـى القرآن السـر فى آيـة معينة حتى إذا ما سـمع زميلتها الواردة فى موضوعها علم ما غاب عنه ، وانكشف أمامه ما كان خافيا عليه .

●●●

وقـد رغبنـا ورغب أهل البصيـرة فى العلم ، أن يعرض تفسـير القـرآن على هـذه الطريقة الجديدة ، فتعـرف موضوعات القرآن ، وتبحث بحثا نقيا بريئا من الشوائب التى من شأنها أن تستر الحق أو تشوه جماله ، بعيدا عن الطريقة الملتوية ، منزها عن الأقاصيص الدخيلة والخيالات التى لا يزكيها عقل ولا حقيقة .

وأرجو أن يجد الناس فى هذا النحو الجديد من التفسير ما تصبو إليه نفوسـهم وتعرف هداية القرآن والوقوف على أسراره وحكمه والانتفاع بمبادئه وتعاليمه . وقد عرضت منذ سـبع سـنوات على هـذا النحو موضوع القرآن والمرأة ، وأظن أن الذين قرأوه بأخلاص قابلوه بصدر رحب وقلب مطمئن .

وقد رأيت أن يكون أول موضوع أعرضه الآن على هذه الطريقة (القـرآن والمرأة) موضوع : (القرآن والقتـال) . ذلك لأن للقتال فى هذا الوقت شـأنا واقعيا ملأ الدنيا وشـغل الناس ، وله فى سائر الأوقات شـأن نظرى يلوكه كثير من أرباب الأديان فى الطعن على الإسـلام فما أحوج الناس فى وقتهم هذا ، وفى سائر الأوقات ، إلى معرفـة أحـكام القرآن فـى القتال . وفى أسـبابه التـى تحمل عليه وغايتـه التى بهـا تضع الحـرب أوزارها . وتلقى عـن كاهل الناس أثقالهـا ، ما أحوجهم إلى معرفة ذلك ليعلموا مقدار حكمة القرآن فـى القتال وحرص الإسـلام على السـلام . وكراهتـه لإراقة الدماء وإزهاق الأرواح فى سبيل الأثرة بحطام ليس له بقاء ، والطمع الذى

أساسه الشره وحب الاغتيال، وليعلم هؤلاء الذين يروعون العالم من وقت لآخر بحروبهم الفاتكة مقدار انحرافهم العملي عن دينهم الذى يعتقدون أنه دين السلم والسلام دون غيره من الأديان، وهل يقبل فى نظر العقل أن الدين الذى يدعو إلى السلم، ويطلب إلى الناس تسخير ماوهب الله لهم فيما ينفع لافيما يضر، وفيما يعمر لا فيما يخرب، يرضى من معتنقيه أن يروعوا العالم هذا الترويع الذى يخلع القلوب، ويذيب الأفئدة، ويحول المدن العامرة إلى خراب، والمدنيات الراقية إلى فناء، والحضارات المزدهرة إلى دمار، بينما يقولون بألسنتهم: إن دينهم دين السلام، وإن غيره دين الحرب والنضال، قام بالسيف وأسس على الإكراه!؟

●●●

لتكن أول لبنة نضعها أساسا لعرض هذا الموضوع، معرفة طبيعة الدعوة الإسلامية وهل هى بحاجة إلى إكراه الناس عليها؟

قد يدعى الإنسان إلى اعتناق مبدأ فيسارع إليه ويؤمن به، عن اطمئنان وارتياح، وقد يكلف اعتقاد مبدأ آخر فيشق عليه وينفر منه. هاتان ظاهرتان نراهما فى حياتنا، ونعرفهما من أنفسنا فما سبب ذلك؟

سببه واضح، فكلما كانت الحقيقة التى يدعى إلى اعتناقها بسيطة سهلة لا تعقيد فيها ولا تكلف، ولا تحمل فى ظاهرها ولا فى باطنها ما يصدم الفطرة البشرية، كانت حقيقة واضحة تدعو لنفسها ولا تحتاج إلى ما يحمل الناس عليها، وكلما كانت متناقضة معقدة ملتوية كانت مشكلة مظلمة. فى طبيعتها ما يذود الناس عنها، ويصرف العقول عن النظر فيها، ومثل هذه تحتاج فى اعتناق الناس لها إلى وسيلة تفرضها عليهم فرضا، وتلجئهم إليها إلجاء. وإذا كان هذا شأنا ملموسا فى النفوس.

فلننظر من أى نوع من هذين النوعين طبيعة الدعوة الإسلامية.

أرسل الله محمدا على فترة من الرسل: داعيا ومبشرا ونذيرا. وأوحى إليه كتابا جمع بين دفتيه أصول السعادة للأمة والفرد: أمر بتحكيم العقل. عظم من شأن البرهان. حبب فى العلم والمعرفة، فصل الأحكام. شرع الحدود. دعا إلى الرحمة. رغب فى الخير. حض على السلام. رفع الحرج وتوخى اليسر. أحكم أصول السياسة وقواعد الاجتماع. حارب البغى والفساد. حارب الركود العقلى. نعى الاستنامة إلى مادرج عليه الآباء. صاح فى الناس أن لهم حياة أخرى أسمى من هذه الحياة فيها النعيم الدائم. والخلود الأبدى. وأن منتهى الإنسان من مبدئه وآخرته من دنياه.

على هذا النحو كانت دعوة الرسول محمد ﷺ وكان أولها

وأساسها توحيد الخالق. والتوجه إليه وحده بالعبادة والإيمان به منزها عن شوائب النقص والاحتياج والمماثلة لشيء من خلقه:

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

(الأنعام: ١٠١- ١٠٣)

وأرشد إلى أنه يريد بذلك تكريم الإنسان ورفعه عن أن يعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وأعلن أنه يقرر بتلك الدعوة سائر الأديان التي سبقته. وأنه لا يخالفها في أصل جاءت به وأنه لا يفرق بين رسول ورسول الكل يقرر التوحيد. والكل يدعو إلى عبادة الله، والكل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والكل يدعو إلى الفضيلة وينفر من الرذيلة:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

(البقرة: ١٣٦- ١٣٧)

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن

دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٦٤)

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾

(العنكبوت: ٤٦)

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾

(الشورى: ١٣)

إلى آخر الآيات التى حددت دعوة الإسلام، وهى- كما ترى تلك الآيات- دعوة واضحة بينة سهلة خالية من التعقيد. بعيدة عن الغموض والإبهام لا يعجز عقل عن هضمها ولا يلتوى عن فكر طريقها وهى دعوة الأديان السابقة. ودعوة الرسل الأولين. وهى نداء الفطرة، فليست غريبة على العقول. ولا بعيدة عن الأفهام:

﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ ﴾

(البقرة: ١٣٨)

﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾

(الروم: ٣٠)

هذه هى دعوة الإسلام فهل مثل هذه الدعوة يحتاج فى إيمان الناس بها إلى إكراه؟ إنه لمن الإساءة إليها. ومن الصد عنها، ومن وضع العراقيل فى سبيلها، أن يجعل الإكراه طريقا من طرق الإيمان بها.

إن الإنسان إذا شعر أنه مكره على شيء، ملجأ إليه صرفه ذلك عن تقديره واحترامه والتفكر فيه فضلا عن الإيمان به. فاتخاذ الإكراه وسيلة إلى اعتناقها فيه إلباسها ثوب التعقيد والالتواء والغموض. وإبعاد لها عن متناول العقول والقلوب ولا ريب أن هذا ظلم لها وأى ظلم. وهو فى الوقت نفسه من العوامل التى تسىء إليها. وتقف عثرة فى طريقها. وليس من المعقول أن دعوة تريد لنفسها النجاح تحمل فى طياتها عوامل ضعفها وفنائها، أو مايسئ إليها ويشوه جمالها.

هذا معنى واضح، كان لنا الاستغناء به، والوقوف عنده مطمئنين إلى تقدير الناس له وتحكيمهم إياه فيما بين الإسلام والقتال من علاقة ولكنا لا نكتفى به بل نرجع إلى نصوص الدعوة نفسها فننظر هل منها ما يعرف الإكراه فى العقيدة؟ وهل منها ما يحترم العقيدة التى بنيت على الإكراه؟ يعتقد كل إنسان أن الجواب عن هذا بين واضح ليس من جهة واحدة، بل من جهات متعددة، ونواح مختلفة، فالقرآن يرشدنا فى وضوح وجلاء إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يرد من الناس أن يكونوا مؤمنين عن طريق القهر والإلجاء، بل عن طريق النظر والفكر والتدبر، ويرشدنا مع هذا إلى أنه لو أراد منهم إيمانا كهذا الإيمان لطبعهم عليه، وجعلهم كالملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، يفعلون ما يؤمرون، عن طبع وتكوين. لا يملكون الخروج عليه ولا التخلص منه. ولكنه لم يشأ ذلك بل ترك الناس وما يختارون لأنفسهم من إيمان أو كفر وهداية أو ضلال، واكتفى بأنه أخذ عليهم مواثيق الفطرة، وأشهدهم بها على أنفسهم، وأرسل إليهم رسلا تذكرهم، وتدعوهم إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض:

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾

(النساء: ١٦٥)

﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ﴾

(المائدة: ١٩)

وتلك سنة الله. قررها كتابه:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾

(هود ١١٨ - ١١٩)

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾

(يونس: ٩٩)

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

(المائدة: ٤٨)

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾

(الأنعام: ٣٥)

على هذه السنة التكوينية، جاءت الشرائع الإلهية تدعو إلى التوحيد، وعبادة الخالق وحده على أساس النظر والاستدلال، وعلى أساس الميل والاختيار، لا سلطان إلا للعقل، ولا قهر إلا للبرهان ولا تجد شريعة من الشرائع الإلهية تفرض على الناس الإيمان عن طريق القهر والإلجاء. استمع إلى نوح وهو يقول لقومه:

﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ (هود: ٢٨)

ثم استمع إلى قوم عاد وهم يقولون لرسولهم:

﴿ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

(هود: ٥٣)

ثم استمع إليه وهو يقول:

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ ﴾

(هود: ٥٦، ٥٧)

ثم استمع إلى إبراهيم وهو يدعو أباه في لطف ولين عن طريق الحجة والبرهان وعن طريق الوجدان والعاطفة:

﴿ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾

(مريم: ٤٢- ٤٨)



ثم استمع قول الله لموسى وهارون حين كلفهما الدعوة إليه:

﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾

(طه: ٤٣ - ٤٤)

اقرأ كل هذا وتأمله لتعلم أن السلاح الذى أعطاه الله لرسله المتقدمين وهم يبلغون الناس دعوته لا يتجاوز البيئة الواضحة. ولفت الأنظار إلى مالله من آثار جريا على سنته فى الإيمان والكفر والهداية والضلال.

وقد قص الله كل ذلك على نبيه فى كتابه وبين له طريقة الرسل فى الدعوة إليه وقال له:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾

(الأنعام: ٩٠)

ثم بين له وسائل الدعوة فى آية فذة جامعة:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ ﴾

(النحل: ١٢٥)

على هذا الأساس كانت دعوة الرسول محمد ﷺ إلى ربه:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

(يوسف: ١٠٨)

وإذا كان ما تقدم شأن ينتظم دعوة محمد ودعوة إخوانه السابقين فإن هناك شيئا آخر خص الله به شريعة محمد ﷺ. جعله فى دعوته أبعد الرسل عن الإكراه، وعن اتخاذ وسيلة من وسائل الإيمان: ذلك

أن الرسل الأولين كان يصحب دعوتهم فى كثير من الأحيان خوارق حية من شأنها أن تلجئ إلى الإيمان، كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ولكن الله أبى فى شريعة محمد ﷺ مجاراة المشركين الذين كانوا يقترحون مثل هذه الآيات:

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾

(الإسراء: ٩٠ - ٩٣)

وبين أن آيته الوحيدة من جنس دعوته الواضحة: برهانية عقلية، تمتلئ بها البصيرة، قبل أن يتناولها البصر، وتأخذ بالقلب، قبل أن يأخذها الحس:

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

(العنكبوت: ٥٠ - ٥٢)

﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾

(الشعراء : ٤)

بمثل هذه الآيات وهو كثير في القرآن، يبين الله كفاية القرآن في الإيمان بدعوة محمد ﷺ وأنه لا يريد أن يجيئهم بآية تخضع لها أعناقهم، كما يبين من جهة أخرى أن مهمة الرسول معهم لا تتجاوز التبليغ والإنذار والتبشير وقد قرر الله مهمته بهذا في مكي القرآن يوم كان المسلمون قلة لا حول لهم ولا قوة، وفي المدينة يوم صارت إليهم القوة وأصبحوا أولي بأس شديد فمن المكي قوله:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾

(التكوير : ٢٧، ٢٨)

وقوله:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾

(الغاشية : ٢١- ٢٦)

ومن المدني قول:

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾

(النور: ٥٤)

وقد تضافرت آيات كثيرة على تقرير هذا المعنى وتوكيده، في بيان مهمة الرسول وشأنه في الدعوة إلى دين لله وما أبعد هذا المعنى عن رائحة الإكراه، وما أشد منافرته لاتخاذ الإكراه وسيلة من وسائل الدعوة.

أكثر من هذا كله أن القرآن يقرر بوضوح وجلاء، أن الإيمان الذى يجئ من طريق الإكراه لا قيمة له، ولا كرامة لصاحبه، فهو يقول لفرعون حين أدركه الغرق وقال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل:

﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

(يونس: ٩١)

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾

(غافر: ٨٤- ٨٥)

وكذلك يقرر القرآن أنه لا يقبل التوبة التى تنبعث عن الإكراه ومعاينة العذاب:

﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾

(النساء: ١٨)

وإذا كان القرآن يقرر كما ترى إهدار الإيمان والتوبة الذين يدفع إليهما الإكراه، ولا يكون القلب فى سعته مطمئنا إليهما، فكيف يعقل أن يطلب أو يشرع الإكراه فى الدين أو على الدين من أى لون كان؟!

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)

●●●

تبين مما تقدم أنه لا يوجد سبب ما، يبرر لأحد ما، أن يعتقد أو يزعم أن من أساليب الدعوة الإسلامية حمل الناس على الإيمان بها عن طريق السيف والقتال، ويتلخص هذا الفصل في النتائج الآتية: أولا: ليس في طبيعة الدعوة الإسلامية من التعقيد والغموض، والمشقة العقلية، ما تحتاج معه إلى إكراه جلي أو خفي.(٣)

ثانيا: أن الشريعة الإسلامية، أخذا من كتب الله، لا تحاول أو تخالف سنة الله الكونية التي جعلها أساسا لإيمان من يؤمن وكفر من يكفر، وهي ترك الناس وما يختارون لأنفسهم عن طريق النظر والاقتناع.

ثالثا: أن الشريعة الإسلامية، أخذا من كتاب الله أيضا، لا تبيح نصوصها المحكمة الواضحة اتخاذ الإكراه وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، شأنها في ذلك شأن الشرائع السابقة.

رابعا: أن صاحب الدعوة الإسلامية ليس مسئولا أمام ربه إلا عن مهمة الرسالة التي بينها القرآن في مدنيه ومكيه، وهي التبليغ والإنذار، وليس مطالبا بإيمان الناس حتى يسمح له بإكراههم والعنف عليهم. (٤)

خامسا: أن كتاب الله مصدر الدعوة الإسلامية، لايحترم إيمان المكره، ولا يرتب عليه آثاره يوم البعث والجزاء حتى يأمر أو يبيح اتخاذ الإكراه وسيلة من وسائل الإيمان بهذه الدعوة.

هذه النتائج يعلمها الناس من القرآن نفسه. والإيمان بها جزء من الإيمان بالقرآن. ولهم بعد ذلك أن يسألوا. إذا كان الشأن كما تعطى هذه النتائج التي ينطق بها القرآن فما شأن آيات القتال التي وردت في القرآن؟

وهذا هو البحث الثاني

٣- يراد بالإكراه الجلى ما كان بالقوة المادية كالحديد والنار، وبالخفى الخوارق الحسية التى تخضع لها الأعناق.

٤- وهذا غير مسئوليته ومسئولية خلفائه عن تنفيذ شرعه فى أمته.

آيات القتال

نعرض فى هذا الفصل آيات القتال التى وردت فى القرآن لنفهم معناها الذى تدل عليه، وغرضها الذى سيقت له ولنعرف نسبة بعضها إلى بعض، ثم نخلص بعد إلى نتيجتها التى يتبين بها شأن هذه الآيات الآمرة بالقتال مع النتائج التى وصلنا إليها فى الفصل السابق.

●●●

عرض القرآن لنوعين من أنواع القتال: أحدهما قتال المسلمين للمسلمين، والثانى قتال المسلمين لغير المسلمين. أما الأول: فهو شأن من الشئون الداخلية للأمة، ونظام من نظمها التى تعنيها وحدها ولا تعنى أحدًا سواها وذلك فى حالة حدوث حالة بغى وخروج على النظام العام تقع بين طوائف الرعية بعضها مع بعض، أو بين الرعية وراعيها، فوضع لها تشريعًا من شأنه أن يحفظ على الأمة وحدتها وعلى الهيئة الحاكمة سلطانها وهيبتها، ويقى المجموع شر البغى والتعادى. وهذا هو قوله فى سورة الحجرات:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(الحجرات: ٩ـ ١٠).

فهذه الآية تفرض حالة اختلاف يقع بين طائفتين من المؤمنين ولا يستطاع حله بالوسائل السلمية فتلجأ كل منهما إلى القوة وتحكيم السيف. ثم توجب الآية لهذا على الأمة ممثلة فى حكومتها أن تنظر فيما بين الطائفتين من أسباب الشقاق. وتحاول الإصلاح بينهما فإن وصلت إلى ذلك عن طريق المفاوضات. وأخذ كل ذى حق حقه

ورد البغى واستقر الأمن . فقد كفى الله المؤمنين القتال . وإن بغت إحداهما على الأخرى . واستمرت على العدوان . وأبت أن تفىء إلى أمر الله . وتنزل على حكم المؤمنين . كانت بذلك باغية خارجة عن سلطة القانون . متمردة على النظام . فيجب على جماعة المسلمين قتالها حتى تخضع وترجع إلى الحق وتشير الآية بعد هذا إلى سر النجاح فى حل ما ينشأ بين الطوائف من خلاف وهو أنه لا ينبغى أن يتخذ من رجوع إحدى الطائفتين إلى الحق سبب للحيف عليها . وانتقاصها حقها ولكن يجب أن يحكم العدل . وأن تأخذ كل طائفة حقها . كاملاً غير منقوص . تأمل قوله تعالى فى تذييل الآية : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ .

وكما ترشد الآية إلى هذا . ترشد إلى أن القصد من التشريع إنما هو المحافظة على وحدة الأمة وعدم تفرقها ، والاحتفاظ بأخوتها الدينية التى هى شأن من شئون الإيمان فتقول :

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

(الحجرات : ١٠) .

وهذا هو التشريع الحكيم ؛ الذى نطق به القرآن الكريم ، على لسان النبى الأمى طريقًا للعلم وقضاء على البغى والعدوان والتطهير من البغى نطق به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا ، قبل أن يعرف العقل البشرى ما سماه (عصبة الأمم) واتخذه قبل الحرب سبيلا لحفظ السلام واستقرار الحريات وتمتع الدول بحقوقها .

هذا هو التشريع الحكيم ، الذى لوفهمته الأمم حق الفهم ، ومنحته العناية التى تجدر به ، وسارت على منواله ، لما ضلت سبيل الحكمة ! ولسلمت من هذه الويلات المتكررة ، التى يثيرها البغى والعدوان من جانب ، والتخاذل وعدم التضامن من جانب آخر .

هذا هو شأن القتال الذى شرعه القرآن بين المسلمين والمسلمات وواضح أنه لا صلة له بأصول الدعوة الإسلامية والإيمان بها.

أما النوع الثانى وهو قتال المسلمين لغير المسلمين فقد عرض له القرآن فى كثير من آياته وسوره وتناوله من جميع جوانبه : عرض للأسباب الباعثة عليه وللغاية التى ينتهى عندها، وعرض لما يجب على المسلمين من الاستعداد له والاحتياط لطوارئه ومفاجآته وعرض لكثير من قواعده وأحكامه. ولما يتصل به من هدنة أو معاهدات نحن نذكر فى هذا الفصل الآيات التى عرضت لسبب القتال والآيات التى عرضت لغايته التى ينتهى عندها وعلاقة آيات العفو بآيات القتال.

أقام المسلمون فى مكة أعواما يسامون سوء العذاب، ويصادرون فى حريتهم الدينية، ويضطهدون فى عقيدتهم التى أطمأنوا إليها، ويفتنون فى أموالهم وأنفسهم، حتى أكرهوا على الهجرة، فخرجوا من ديارهم وأوطانهم، ثم أقاموا فى المدينة صابرين لأمر الله؛ راضين بحكمه، وكانوا كلما همت نفوسهم بالرد على الظلم، أو تطلعت إلى الانتقام من الظالمين، ردهم رسول الله ﷺ إلى الصبر وانتظار أمر الله «لم أومر بقتال .. لم أومر بقتال؟» ظلوا كذلك حتى كاد اليأس يساورهم، ويفضى بهم إلى الفشل عند ذلك أنزل الله أول آية فى القتال، وهى فى سورة الحج :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[5]

(الحج: ٣٩ - ٤١).

تناولت هذه الآية الكريمة الإذن بالقتال. وعللت هذا الإذن بما منى به المسلمون من الظلم وما أكرهوا عليه من الهجرة والخروج من الديار والأوطان بغير حق.

ثم بينت أن هذا الأذن موافق لما تقضى به سنة التدافع بين الناس حفظا للتوازن ودرءًا للطغيان. وتمكينا لأرباب العقائد والعبادات من أداء عباداتهم. والبقاء على عقيدة التوحيد والتنزيه، ثم أرشدت إلى أن الله إنما ينصر بمقتضى سنته من ينصره ويتقيه، فلا يتخذ الحرب أداة للتخريب والإفساد وإذلال الضعفاء. وإرضاء الشهوات والمطامع. وأنه لا ينصر إلا من إذا تمكن فى الأرض عمرها. وأطاع أمر الله فيها. وكان داعى خير ومعروف. لا داعى منكر وفساد والله يعلم المفسد من المصلح:

﴿وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾

(الحج : ٤١).

هذه الآية هى الآية الأولى. كما قلنا من آيات القتال وهى آية واضحة ليس فيها شائبة من شوائب الإكراه فى العقيدة. وإنما هى على العكس تقرر أن التدافع بين الناس سنة من سنن الله الكونية لابد منها فى حفظ النظام. وبقاء الصلاح والعمران. لولاها لفسدت الأرض. وهدمت أماكن العبادة على اختلافها. وتباين ألوانها. وإنما يكون ذلك بتحكم الأقوياء الطغاة فى الأديان يعبثون بها ولا رادع. ويكرهون عليها ولا مدافع. والآية لا تنظر فى ذلك إلى المسلمين

(٥) صوامع: معابد الرهبان. بيع: كنائس النصارى. واحدها بيعة بكسر الباء. صلوات: كنائس اليهود.

خاصة. بل تقول في جلاء ووضوح

﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾

(الحج : ٤٠).

على هذا الوجه من العموم.

نقرأ بعد هذا آيات القتال التي وردت في سورة البقرة:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(٦)

(البقرة: ١٩٠-١٩٤).

تأمر هذه الآيات أن يقاتل المسلمون في سبيل الله الذين يقاتلونهم وتأمرهم بتتبعهم حيث وجدوا، وتشتيتهم كما شتتوهم من قبل، وتنهاهم عن الاعتداء، وتؤكد هذا النهي بكراهة الله للعدوان، وعدم محبته للمعتدين ثم ترشد إلى أن إخراج الناس من ديارهم، وترويعهم في أمنهم، والحيلولة بينهم وبين الاطمئنان على الأنفس والأموال، فتنة أشد من فتنة القتل وإزهاق الأرواح، فليقاتل العاملون عليها والمثيرون لها كما

---

(٦) ثقفتموهم: وجدتموهم.



يقاتـل المقاتلـون. ثـم تمنع الآيات المسـلمين عـن القتال فى الأماكـن المقدسـة، والأزمنة المقدسـة حتى يقاتلـوا فيها، فإن انتهكـت حرمتهم فيها، واسـتبيح قتالهم، سـاغ لهـم أن يردوا العدوان مثلا بمثل، وجزاء بجزاء. ثم تخلص الآية بعد هذا وذاك إلـى بيان الغاية التى تضع الحرب عندها أوزارها، وهى ألا تكون فتنة فـى الدين وأن يكون الدين لله ليحصـل الناس على حريتهم الدينية من غير اضطهاد فيها ولا تعذيب عليها فإذا ما تحقق هذا الغرض، واطمأنت إليه النفوس، وجب وقف القتال.

هذه الآيات بما تضمنته من المبادئ التى بينا فى سبب القتال وغايتـه ليس فيها ما يقترب من فكرة الإكراه على قبول الدعوة، بل هى وسـابقتها ناطقة بأجلى بيان، وأوضح عبارة، بأن السبب الـذى مـن أجله أمر المسـلمون بالقتـال، هو الاعتـداء عليهم؛ وإخراجهم من ديارهم، وانتهاك ماعظم من حرمات الله، ومحاولة فتنة النـاس فيما يدينون وكذلك هى ناطقة بأن الغاية التى يجب على المسـلمين أن يكفوا عندها عن القتال، هى انتهاء العدوان عليهـم، وتقرر الحرية الدينية خالصة لله، غير متأثرة بضغط ولا إكراه.

هـذه المبادئ التى أرشـدت إليها تلك الآيات، نراهـا بعينها أو قريبا منها، فى كثير من آيات القتال الأخرى الواردة فى سورة النساء والأنفال، والتوبة، ففى سورة النسـاء :

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾

(النساء: ٧٥).

﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى

ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾
(النساء : ٨٤).

﴿ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴾
(النساء: ٩٠).

﴿ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴾
(النساء : ٩١).

اقرأ هذه الآيات، وقف عند قوله :

﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾

وقولـه : ﴿ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ ﴾ . لتعلـم روح الفتنـة الـذى كان يحمله القوم للمسلمين، والذى لأجله أمر المسلمون بقتالهم وهذا هو عين ما قررته سورة البقرة فيما سبق : وهو عين ما تقرره سورة الأنفال والتوبة أيضًا، ففى سورة الأنفال قوله تعالى :

﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾

(الأنفال: ٣٩).

وهى على غرار ما جاء فى سورة البقرة، وفى سورة التوبة كقوله تعالى :

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ



﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (١٣)

(التوبة: ١٢-١٣)

وقوله:

﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾

(التوبة: ٣٦).

اقرأ هذه الآيات، وتأمل أولا قوله:

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾

وتأمل ثانيا قوله ﴿وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾

وثالثا قوله ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ﴾ تأمل كل ذلك لتعلم أن هذه الآيات نزلت فى شأن قوم مردوا على الفتنة، وتأصلت فيهم عوامل الإفساد حتى لم يصبح للعهود فى نظرهم قيمة، ولا للفضيلة عندهم ميزان، وليس من شك فى أن قتال هؤلاء. وتطهير الأرض منهم، والقضاء على فتنتهم إنما هو من قبيل الخير العام، يسدى إلى الإنسانية جمعاء».

●●●

وقد جاء فى سورة التوبة بعد هذه الآيات آيتان ربما أوهم ظاهرهما خلاف ما تقرر هذه الآيات فى سبب القتال، فنسوقهما هنا ونبين ما يدلان عليه فى ضوء من الآيات المتقدمة التى تعتبر - لكثرتها ووضوحها - أصلا فى مشروعية القتال وسببه يجب أن يتحاكم إليه ويخرج ما سواه عليه.

أولا: قوله تعالى:

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾

(التوبة: ٢٩).

ثانيا: قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(التوبة: ١٢٣).

فالآية الأولى تأمر المسلمون باستمرار مقاتلة طائفة هذه صفتها (لا يؤمنون بالله .. إلخ) قد ارتكبت من قبل مع المسلمين ما كان سببا للقتال من نقض عهد وانقضاض على الدعوة ووضع للعراقيل في سبيلها، فهي لا تجعل عدم الإيمان وما بعده سببا للقتال، ولكن تذكر هذه الصفات التي صارت إليهم، تبيينًا للواقع، وإغراء بهم مع تحقق العدوان منهم، حيث غيروا دين الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دونه يحللون لهم بالهوى ويحرمون، غير مؤمنين بتحليل الله ولا تحريمه، وليس عندهم ما يردعهم عن نقض عهد، ولا مصادرة حق ولا رجوع عن عدوان وبغي.

هؤلاء هم الذين تأمر الآية باستمرار قتالهم حتى نأمن شرهم، ونثق بخضوعهم، وانخلاعهم من الفتنة التي يتقلبون فيها، وجعل القرآن على هذا الخضوع علامة هي دفعهم الجزية التي هي اشتراك فعلي في حمل أعباء الدولة، وتهيئة الوسائل إلى المصالح لعامة المسلمين وغير المسلمين [٧].

---

(٧) فليست الجزية كما يتصورها بعض الناس بدلا عن إسلامهم أو دمائهم وإنما هي كما قلنا علامة لخضوعهم وكفهم عن الفتنة ومحاربة الدعوة والاشتراك في حماية مصالح الدولة في نظير حمايتهم وأهليهم وأبنائهم وأموالهم وقد ذكر أبو يوسف في=



وفـي الآيـة ما يدل على سـبب القتال الذى أشـرنا إليه وهو قوله تعالـى: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾، وقولـه: ﴿عَن يَدٍ﴾ فإنهما يقرران الحـال التى يصيرون إليها عند أخذ الجزية منهم، وهى خضوعهم، وكونهم بحيث يشـملهم سلطان المسـلمين؛ وتنالهم أحكامهم، ولا ريب أن هذا يؤذن بسـابقية تمردهم وتحقق ما يدفع المسـلمين إلى قتالهم.

هذا هـو المعنى الـذى يفهم من الآية، ويسـاعد عليه سـياقها، وتتفـق به مع غيرها ولو كان القصد منها أنهم يقاتلون لكفرهم وأن الكفر سـبب لقتالهم لجعلت غاية القتال إسلامهم ولما قبلت منهم الجزية وأقروا على دينهم.

أمـا الآية الثانية ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ فليسـت واردة مورد الآيات السـابقة فى بيان سبب القتال وما يحمل عليه، وإنما جاءت إرشادًا لخطة حربية عملية ترسم عند نشوب القتال المشروع فعلا، فهى ترشـد المسـلمين إلى وجـوب البدء عند تعـدد الأعداء بقتال الأقـرب فالأقرب عملا علـى إخلاء الطريق من الأعـداء المناوئين، وتسهيلا لسبل الانتصار (٨).

=كتابه (الخراج): أن أبا عبيدة بعد ما صالح أهل الشام وجبى منهم الجزية والخراج بلغـه أن الروم قد جمعوا له، واشتد الأمر عليه وعلى المسلمين فكتب رضى الله عنه إلى أمراء المدن التى تم صلحها أن يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية والخراج وأن يقولـوا لهم: إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قـد بلغها ما جمع لنا من الجموع وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وأنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا إن نصرنا الله عليهم».

(٨) قـد وقف بعض من يقصـد الكيد للإسلام عند ظاهر هـذه الآية: «قاتلوا الذين يلونكـم من الكفار وزعم أن الدين الإسلامى يأمـر بقتال الكفار عامة، حصل اعتداء منهـم أم لم يحصـل حتى يؤمنوا ويدينـوا بالإسلام - قالوا: وقـد استقر الحكم فى الشريعة على هذا. والواقع أن المراد من كلمة الكفار فى الآية ونظائرها، المشركون=

وهـذا المبدأ الذى قرره القرآن من المبادئ التى تعمل بها الدول المتحاربـة فى هذا العصر الحديث، فلا تخطوا دولة مهاجمة خطوة إلا بعـد إخـلاء الطريـق أمامها، والاطمئنـان إلـى زوال العقبات من سبيلها وبهذا يتبين أنه لا صلة للآيتين بسبب القتال الذى تضافرت الآيات الأخرى على بيانه.

●●●

اتضح مما تقدم:

(١) أنه لا توجد آية واحدة فى القرآن الكريم تدل أو تشـير إلى أن القتال فى الإسلام، لحمل الناس على اعتناقه.

(٢) وأن سـبب القتال ـ كما تدل عليه الآيات السابقة ـ ينحصر فى رد العدوان وحماية الدعوة وحرية الدين.

(٣) وأن القرآن حينما شـرع القتال نأى بـه عن جوانب الطمع والاسـتئثار وإذلال الضعفاء، وابتغاه طريقا إلى السـلام والاطمئنان وتركيز الحياة على موازين العدل والمساواة.

(٤) وأن الجزية لم تكن عوضًا ماليًا عن دم أو عقيدة، وإنما هى علامـة على الخضوع وكف الأذى، ومشـاركة فى حمل أعباء الدولة وليـس لأحد بعد هذا أن يفترى على الإسـلام، أو يسـىء فهم آيات القرآن، فيزعم ما يزعمه الجاهلون من أن الإسـلام قرر القتال طريقًا لدعوتـه، ووسـيلة للإيمـان به، وأنه إنمـا قامت دعوته وانتشـرت

=المحاربون الذين قاتلوا المسلمين واعتدوا عليهم، وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم، ووقفوا فتنة للناس فى دينهم (وهم الذين تحدثت عن أخلاقهم أوائل سورة التوبة).
وكذلك المراد من كلمة «الناس» الواردة بحديث «أمرت أن أقاتل الناس»، فإن الذى يتوقف انتهاء قتاله علـى ما ذكره فى الحديث بالإجماع هم مشركو العرب خاصة.
أما غيرهم فيكفى فى انتهاء قتاله أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.
وبهذا تتفق الآيات بعضها مع بعض، ويجمع بينها وبين الأحاديث ويسقط مثل ذلك الزعم الباطل.



عقيدته على أساس من الضغط والإكراه.

ونحن نسوق هنا آية في سورة الممتحنة هي بمثابة دستور إسلامي في معاملة المسلمين لغير المسلمين:

قال الله تعالى:

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

(الممتحنة: ٨-٩)

اقرأ هذا الدستور ثم ارجع إلى سورة المائدة وهي من أواخر القرآن نزولا واقرأ منها فيما يتصل بعلاقة المسلمين بغيرهم قوله تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾

(المائدة: ٥).

اقرأ هذا وذاك لتعلم روح السمو التي يحملها الإسلام في علاقته بغير معتنقيه: بر، وقسط، وتعاون، ومصاهرة وهي علاقة يتضائل أمام روعتها أحدث مبدأ عرفه العقل البشري في العلاقات الدولية العامة.

علاقة آيات العفو بآيات القتال

ويجدر بنا ألا نترك هذا المقام حتى نعرض لمسألة شغلت أذهان كثير من الناس الذين ينظرون فى القرآن، ويقارنون بعض آياته ببعض. وأمامنا من هؤلاء طائفتان:

- طائفة خصوم الدين الذين يتلمسون فى القرآن مطعنا.
- وطائفة من المفسرين تحملهم غيرتهم الدينية على التوفيق بين ما يظن فيه تناقضا مع غيره من آيات القرآن، فيجنحون إلى القول بنسخ بعض الآيات لبعض وقد أسرف بعض هؤلاء فيما اندفعوا إليه بما يخيل أنهم مهدوا به طريق الطعن لخصوم الدين والقرآن من حيث لا يريدون.

فأما الخصوم فقد نظروا فيما بين آيات القتال بعضها مع بعض، وفيما بينها جمله وبين آيات العفو والصفح فقالوا: بينما ترى بعض آيات القتال يأذن فى القتال ويبيحه إذا البعض الآخر يحتمه بشدة ويطلبه بتحريض، وبينما ترى بعض هذه الآيات يطلب قتال المعتدى ويمنع البدء بالعدوان ترى البعض الآخر يأمر بقتال الجميع من غير رحمة ولا هوادة ولا تفريق بين معتد وغيره، وبينما ترى جملة هذه الآيات تطلب القتال وتقرره ترى آيات أخرى كثيرة منبثة فى جميع سور القرآن تأمر بالعفو والصفح ومقابلة السيئة بالحسنة، والدعوة إلى الله بالحكمة.

وهذه كلها أنواع من التناقض ـ كما يزعمون ـ لا يتفق معها أن يكون القرآن الذى جاء به محمد وحيا يوحى إليه من عند الله؟.

وأما أصدقاء القرآن وخدمته فيقولون: إن آيات القتال نسخت آيات العفو والصفح، حتى قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (فصلت: ٣٤).

وقوله تعالى:



﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾

(النحل: ١٢٥).

ويقولون إن آية التوبة :

﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةًۚ ﴾

(التوبة: ٣٦).

نسخت ما تقدم بين يديها من آيات القتال.

ومن عجيب أقوالهم أن آية :

﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ ﴾

(البقرة : ١٩١).

فى البقرة نسخت الآية قبلها :

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾

(البقرة: ١٩٠).

وأن آية :

﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ ﴾

(البقرة: ١٩٣).

فى هذه السورة أيضًا نسخت التى قبلها :

﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ ﴾

(البقرة: ١٩١).

فهذه الجملة القرآنية التى وردت فى سورة البقرة مكونة من أربع آيات وصارت بهذا الصنيع آيتين ناسختين وآيتين منسوختين : الثانية نسخت الأولى، والرابعة نسخت الثالثة !!

وقد قال الإمام الرازى فى تفسيره تعليقا على هذا الرأى : إنه

يبعد من الحكيم أن يجمع بين آيات متوالية تكون كل واحدة منها ناسخة للأخرى.

ولا يبعد أن يكون هذا الصنيع مهد لخصوم الدين أن يقولوا بتناقض القرآن إنهم لا يريدون النسخ الذى يدعيه أصدقاء القرآن وكيف يقبلون دعواه منا فى القرآن ومن علمائنا، من لم يقبله فيه؟: ولعلك تشعر بعد العرض الذى عرضنا به آيات القتال أنه لا تناقض ولا تعارض بين بعضها وبعض ولا محل للقول بالنسخ فيها لأن النسخ لا يكون إلا عند التعارض، فهى إذا محكمات باقيات تتلاقى جميعها عند حد واحد. تقرر حكمًا وحدًا وسببًا واحدًا وغايته واحدة. أما آيات الصفح والعفو فهى ترمى إلى تكوين الجانب الخلقى، ويجب العمل بها فى دائرتها التى لا تخدش العزة والكرامة، ولكل مقام مقال، ولكل حال تشريع، فهى أيضًا محكمات باقيات.

وأن التشريع الذى يبنى على مراعاة الأحوال وشئون الأفراد والجماعات، ويطلب من الناس أن يسلكوا فى كل حالة ما يناسبها لا يمكن أن يرمى بأنه تشريع متناقض أو أن بعضه ناسخ لبعض، وإنما هو فى نظر العقول السليمة تشريع حكيم غاية فى الدقة، ناهض بأهله، محقق لغايته وهى سعادة الفرد والجماعة.



آيات تنظيم القتال

كان من نتائج البحث الأول أن سبب القتال كما يدل عليه القرآن ينحصر في رد العدوان، وحماية الدعوة، وحرية الدين. وفي هذه الدائرة وحدها شرع الله القتال، وحث عليه، ورغب فيه، وأرشد إلى كثير من قواعده وآدابه التي تضمن النصر والظفر. ونعرض في هذا الفصل الآيات التي عرضت للقتال من هذه الناحية.

وإن من يتتبع هذه الآيات من كتاب الله يجدها تضع للمسلمين مبادئ عامة يتكون منها قانون موضوعي للقتال، له مكان القمة بين نظم العصر الحديث، والمدنية الحاضرة، والقانون الموضوعي للقتال في أمة تريد لنفسها العزة والكرامة، يقوم على عناصر ثلاثة:

- العنصر الأول: تقوية الروح المعنوية في الأمة.
- العنصر الثاني: إعداد القوة المادية.
- العنصر الثالث: التنظيم العملي للحرب.

وقد تناول القرآن، وهو يرسم للناس سبل الحياة الطيبة، هذه العناصر الثلاثة بأساليب تنظم كل ما تجود به القرائح في شتى العصور ومختلف الحضارات، لا تقف عند عصر، ولا تضيق بما يجد من نظم وأدوات، ثم هي مع قوتها واتساعها تملك على الناس أفئدتهم، وتملؤها بمعاني الرحمة والشفقة، كما تعمرها بروح الإخلاص وابتغاء مرضاة الله، في تطهير الأرض من الفساد وخلوها من عوامل البغي والعدوان. وإنك لتجد هذه المعاني ماثلة في كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة.

العنصر الأول:

فهو يقول في العنصر الأول - : تقوية الروح المعنوية عند الأمة:

﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ

نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾

(النساء ـ ٧٤ ـ ٧٦).

يحرك عواطفهم نحو القتال فيذكر لهم أنه قتال فى سبيل الله الذى يضاعف ثواب العاملين وأجر المجاهدين، قتال فى سبيل إنقاذ الضعفاء والبر بالإنسان. ومقاومة الجبروت والطغيان. قتل لدحض عوامل الشر والافساد.

ويقول:

﴿ ۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾

(التوبة: ١٩ ـ ٢٢).

اقرأ هذه الآية وكررها فى نفسك مرة بعد أخرى ثم قف طويلا عند قوله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾

لتعلم أن أجر المجاهدين فى سبيل الله بالنفس والمال لا يقف

عند حد. ولا يحيط به إلا عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال.
ويقول:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

(التوبة: ١١١).

يذكرهم بهذا العهد الإلهى الذى أخذه على نفسه للمجاهدين فى سبيله، وبينه فى جميع كتبه؛ ويبرزه فى صورة تعاقد بين بائع ومشتر يقضى على كل من الطرفين الوفاء بما التزم من حقوق ذلك التعاقد، ويؤكد لهم أن القيام بمقتضى هذا العهد والتضحية فى سبيل المحافظة عليه هو الفوز الذى ليس بعده فوز.

ويقول:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

(التوبة: ٢٤).

تستوعب هذه الآية جميع النواحى التى ينبعث من قبلها فى العادة الجبن والخور، وتطلب من المؤمنين التضحية بها جميعا فى سبيل الله والحق، فى سبيل الخير والسعادة، فلا الآباء ولا الأبناء ولا الإخوان ولا الأزواج ولا العشيرة، ولا الأموال التى بذلت فى سبيل

الحصول عليها الراحة والهناءة، ولا التجارة التى يخشى بوارها، ولا المساكن المحببة إلى النفوس، لا شيء من ذلك كله يصح أن يحول بين المؤمنين وما تقتضيه محبة الله ورسوله من تضحية وجهاد.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾

(الحجرات: ١٥)

فالإيمان الصادق عقيدة فى الله والرسول، تسموا عن الشكوك والريب، وتقضى ببذل النفس والمال، جهادا فى سبيل الله بمثل هذا الأسلوب القوى، وهو كثير فى القرآن، يحارب الله عوامل الضعف، ونزعات الخوف، ويغرس فى نفوس الأمة خلق الشجاعة والتضحية، والاستهانة بزخرف هذه الحياة فى سبيل الحق ونصرته.

●●●

وكما يعمل القرآن على غرس هذه الأخلاق فى نفوس الأمة عامة ويبنى منها رجالا أقوياء الروح والقلب، يعمل بوجه خاص على غرسها فى نفوس المجاهدين أنفسهم، فهو يقول فيما يحكيه عن المجاهدين الذين تم لهم النصر والظفر فيما مضى:

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ (البقرة: ٢٤٩- ٢٥١)

ويقـول مخاطبـا نبيه ومذكرا لـه بموقفه وهو يبعـث فى نفوس المجاهدين القوة والشجاعة، ويحثهم على الإقدام والثبات، ويصور لهم مدد الله الذى يطمئنهم به:

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[٩]

(آل عمران ١٢٤- ١٢٦)

ويقول:

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

(آل عمران ١٣٩- ١٤٢)

يهون عليهم ما يصيبهم فى سبيل الله ويرشدهم إلى أن الإيمان يجعل من صاحبه قوة لا تلين؛ وعزمة لا تفل، وأن سنة الله فى القتال

---

(٩) من فورهم: يعنى من ساعتهم: مسومين بالفتح: معلمين وبالكسر: معلمين أنفسهم بعلامة. وقيل: مرسلين خيلهم فى الغارة. قرح: جرح، والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم يوم بدر.

أن يداول بين الفريقين، وأن العاقبة للصابرين:

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

(النساء: ١٠٤).

هـذا قليل من كثير فـى تقوية القرآن للـروح المعنوية عند الأمة عامة، والمجاهدين خاصة.

العنصر الثانى

ويقول فى العنصر الثانى: إعداد القوة المادية:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

(الأنفال: ٦٠)

ويقول:

﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾

(النساء: ١٠٢)

ترشـد الآية الأولى إلى أمرين لهما خطرهما فى حياة الأمم القوة والربـاط. فالقـوة تتناول العـدد والعدة، وهى كلمة تتسـع لكل ما عرف ويعرف من آلات الحرب، وآلات النقل ومواد التموين والرباط كلمة تتسـع لكل ما عرف ويعرف أيضا فى تحصين الثغور ومداخل العـدو ثم بينـت الآية بعد ذلك فائدة الإعداد للسـلم والاسـتقرار، وهى إرهاب العدو حتى لا تحدثه نفسـه باسـتغلال ناحية من نواحى الضعف والتخاذل أما الآية الثانية فهى ترشد إلى أخذ الحيطة والحذر



من العدو مخافة أن ينقض انقضاض الصاعقة وهم عنه غافلون.

إشارة القرآن إلى ما فى الحديد والمعامل من وجوه النفع:

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نسوق هذه الآية الفذة، ذات المغزى العظيم فى لفت الأنظار، وتنبيه العقول، إلى ما فى «الحديد» من قوة تشد عضد المؤمنين فى التمسك بحقهم، والمحافظة عليه هى قوله تعالى فى سورة الحديد:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

(الحديد: ٢٥).

انظر كيف زاوج بين الكتاب والميزان، وبين الحديد فى أنه أنزل الجميع، وكيف خلع على الحديد الذى به قوام الميزان وحفظ القسط هذين الوصفين: البأس الشديد، والنفع العظيم. تأمل هذا ثم انظر مم تتخذ أدوات القتال برية وبحرية، وجوية وما الحديد فى كل هذه الأدوات؟ ثم تأمل فى قوله بعد ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ لعلم أن نصر الله معقود لمن سخر الحديد، واتخذ منه القوة والبأس.

وإذا عرف المسلمون قيمة فضل الله عليهم وعلى الناس «بالحديد» الذى أنزله، فليعرفوا فضل الله على نبيه داود فى إلهامه طرق الانتفاع بهذه المادة. وقد قص الله علينا ذلك فى كتابه لتكون لنا منه العبرة والذكرى. اقرأ قوله تعالى فى سورة سبأ:

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١٠)

(سبأ: ١٠-١١)

ثم اقرأ فضل الله على سليمان فى قوله من السورة نفسها (١٢-١٣)

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (١١)

(سبأ: ١٢-١٣).

ويجدر بنا أن نسوق هنا كلام الرازى فى تفسير قوله تعالى فى سورة (ص: ٣٠-٣٣):

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ

---

(١٠) فى الألوسى: «وقيل المعنى: ارجعى إلى مراده فيما يريد من حفر واستنباط أعين واستخراج معدن ووضع طريق» اهـ. السابغات: الدروع. السرد: النسج، واستعير لنظم الحديد. والمعنى أحكم حلقها فى الوضع والمقدار بحيث تقوى على الدفاع ولا ينال صاحبها من خللها. اهـ ألوسى.

(١١) القطر: النحاس الذائب والإسالة بمعنى الإلانة التى كانت لداود. ترشد الآية إلى أن مصانع سليمان كانت تخرج القصور وأدواتها من الجفان والقدور وكانت تخرج التماثيل، وقد فسرت بتفاسير كثيرة منها أنهم كانوا يعملونها كالحيوانات فى أسفل الكرسى، وكانت تتحرك بآلات عند الصعود. قال الألوسى: وقد انتهت صنائع البشر إلى مثل ذلك فى الغرابة.



بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾

لتعلم أن الرباط شأن قديم اتخذته أقدم الأمم حضارة وأكبرهم عدة وأقواهم فكرة قال: «إن رباط الخيل كان مندوبا إليه فى دينهم، كما أنه كذلك فى دين محمد ﷺ ثم إن سليمان عليه السلام احتاج إلى الغزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر بإجرائها، وذكر أنى لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس، وإنما أحبها لأمر الله وطلب تقوية دينه، وهو المراد من قوله:

﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾

ثم إنه عليه السلام أمر بإعدادها وتسييرها حتى توارت بالحجاب، أى غابت عن بصره، ثم أمر الرائضين بأن يردوا تلك الخيل إليه، فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور: (الأول) تشريفا لها، وإبانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان فى دفع العدو. (الثانى) أنه أراد أن يظهر أنه فى ضبط السياسة والملك يتضع إلى حيث يباشر أكثر الأمور بنفسه. (الثالث) أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها، فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض..» ومما يتصل بالصناعات وفائدتها فى الأمم، ما حكاه الله عن نبيه نوح:

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾

(هود: ٣٧).

فهذه سفن الإنقاذ. والأمم كما تحتاج فى حياتها إلى سفن الانقاذ تحتاج إلى سفن الدفاع والهجوم والنقل التجارى وما إليه مما تستدعيه نهضة الأمة وحاجاتها. قال الله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(النحل: ١٤).

وإلى أن يتصل المسلمون بتعاليم دينهم، وإرشادات كتابهم، ويفقهوها ويعملوا بها سيظلون في عناء من العيش، وضعف من السلطان، ووهن من القوة وذلة في الحياة(١٢)

العنصر الثالث

أما العنصر الثالث - وهو التنظيم العملي للحرب - فقد تناوله القرآن بأصول عامة من جهات متعددة:

(١) في أسباب المعافاة من الجندية:

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾

(التوبة ٩١)

فجعل أسباب المعافاة من الجندية محصورة في الضعف؛ ويتناول الضعف بعجز أو شيخوخة، وفي المرض، وفي عدم القدرة على الإنفاق. ولم ير القرآن أن منها حمل الشهادات العلمية، ولا الانتساب إلى الجامعات، ولا حفظ القرآن الكريم، ولا دفع بدل

(١٢) ولما كان إعداد القوة متوقفا على المال، حثت آيات كثيرة على البذل في سبيل الله، ومن ذلك قوله تعالى بعد آية الإعداد:

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

(الأنفال: ٦٠)

أي يوف إليكم عن طريق تركيز قوتكم في بلادكم وفتح بلاد أعدائكم ومنه قوله بعد آية القتال في سورة البقرة: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾. والتهلكة تشبه تهلكة البخل والشح في الدفاع الوطني.



نقدى، ولا البنوة لحاكم كبر أو صغر مما عهدناه فى عصور الضعف والانحلال بل كالعمل فى عصر النبى ﷺ والعصور التالية له على عكس هذا.

وما كان التفكير فى جمع القرآن إلا مخافة أن يذهب بذهاب القراء الذين كانوا أكثر القوم إقداما وبسالة فى حرب اليمامة، وكان إقدامهم وجرأتهم على اقتحام صفوف الأعداء سببا فى أن يستحر القتل فيهم.

(٢) إن إعلان الحرب - أوجبه القرآن، وحذر انتهاز غفلة العدو وأخذه على غرة:

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾

(الأنفال: ٥٩)

تأمر الآية بطرح العهد عند توجس الشر منهم، وتطلب أن يكون هذا النبذ صريحا واضحا حتى لا تكون خيانة من المسلمين لا يحبها الله ولا يرضاها.

(٣) فى تلبية الدعوة إلى الجهاد - حذر التباطؤ فيها والتثاقل عنها:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(التوبة: ٣٨ - ٣٩)

ينذرهم إذا هم تثاقلوا عن تلبية الدعوة إلى الجهاد بالعذاب الأليم

عذاب الذل والاستعباد، وزوال الملك والسلطان إلى قوم غيرهم.

[٤] في تطهير الجيش من عناصر الفتنة والخذلان:

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾

(التوبة: ٤٧ - ٥٠)

إلى أن يقول:

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾

(التوبة: ٥٧)

وإلى أن يقول:

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾

(التوبة: ٨٣)

وإلى أن يقول:

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

(التوبة : ٩٦)

وعليك أن تتبع ما ورد فى شأن غزوة تبوك بسورة التوبة لتستخلص الخلال السيئة التى هى عنوان الجندية الشريرة، وستجد فيها ما يجب التنبه له وقت التجنيد وإعداد العدة القوية المخلصة فى إحراز النصر والظفر، ثم اقرأ من سورة الأحزاب (١٢ - ٢٠) قوله:

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾

(الأحزاب : ١٢)

إلى قوله:

﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الأحزاب : ٢٠)

لتزداد علما بأوصاف المعوقين المخذلين.

[٥] فى تنظيم التعبئة: أشار القرآن إلى أن التعبئة تكون على حسب الحاجة، فإذا دعت إلى خروج الجميع خرج الجميع، وإذا كفى البعض اكتفى بخروج البعض، وظل الباقى قائما بأعماله الداخلية، ومددا للجيش من ورائه. والأصل فى هذا قوله تعالى:

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

(التوبة : ١٢٢)

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾

(النساء: ٧١)

[٦] فى تنظيم الجيش وتوزيع وحداته على مواضع الدفاع

انظر عمل النبى فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾

(آل عمران: ١٢١)

ثم تأمل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾

(الصف: ٤)

[٧] فى السمع والطاعة للقيادة العامة والثبات فى المواقف وتجنب أسباب الفشل والاعتصام بالإيمان واليقين:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[13]

(الأنفال: ٤٥-٤٦)

---

(١٣) وإذا رأى الإمام توحيدًا للأمة، واتقاء لأسباب الفشل، وقف ما جرت به العادة فى الأمم من الحياة الحزبية، ووضع قوانين لذلك كان متحتما عليه أن يفعله؛ لأنه أصبح وسيلة للواجب. وهذا هو أصل ما يعرف فى العصر الحديث بإعلان الأحكام العسكرية.

[٨] فى حكم الفرار من الصف: حذر القرآن منه، وبين سوء عاقبته:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾

(الأنفال: ١٥ـ١٦)

[٩] فى ترتيب الهجوم عند تعدد الأعداء طلب القرآن فى ذلك أن يبدأ بالأقرب فالأقرب لإخلاء طريق الجيش مما عسى أن يعترضه من عقبات الأعداء:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾

(التوبة: ١٢٣)

[١٠] فى أسرار الجيش:

حذر من إذاعتها، وجعل إذاعتها من شأن المنافقين، وطلب الرجوع بها إلى القيادة العامة، كما طلب من المؤمنين أن يتثبتوا فيما يصلهم من أنباء قبل الركون إليها والعمل بها، قال تعالى:

﴿ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾

(الأحزاب: ٦٠)

وقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(الأنفال: ٢٧)

وقال:

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ ﴾

(النساء: ٨٣)

وقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾

(الحجرات: ٦)

[١١] فى الهدنة والصلح:

أمر القرآن بتلبية دعوة السلم ووقف الحرب إذا جنح إليها الأعداء، وظهرت منهم مخايل الصدق والوفاء:

﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الأنفال: ٦١ ـ ٦٢)

[١٢] فى الأسر ومعاملة الأسرى:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ ﴾

(الأنفال: ٦٧)

وقد خير الإمام إذا أثخن فى الأرض وحل له الأسر، بين أن يمن



عليهم ويطلقهم من غير فدية ولا مقابل، وأن يأخذ عنهم الفدية من مال ورجال، وذلك على حسب ما يرى من المصلحة:

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾

(محمد: ٤)

[١٣] فى العهود والمحافظة عليها:

للقرآن عناية خاصة بالمحافظة على العهود أوجب الوفاء بها، وحرم الخيانة فيها، والعمل على نقضها ورسم أن يكون القصد منها إحلال الأمن والسلم محل الاضطراب والحرب، وحذر أن تتخذ وسيلة للاحتيال على سلب الحقوق، والوقيعة بالضعفاء، انظر قوله تعالى:

﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾[١٤]

(النحل: ٩١ - ٩٢)

---

(١٤) أنكاثا: منقوضة. والإنكاث جمع نكث وهو نقض الغزل بعد إحكامه، ويشمل نقضه على أن يغزل ثانية. وكلمة دخل تجمع معانى الغش والفساد والخديعة. وكلمة أربى: تجمع معنى الزيادة فى القوة والمال وسعة السلطان. والآية تحذر من نقض العهود وإبرامها على وجه لا تطمئن إليه نفوس المتعاهدين، فتظل تحت هيمنة القوة التى لا تعرف حقا ولا سلاما. وتحذر من اتخاذها وسيلة واحتيالا لاستلاب الضعفاء الذين تلجئهم الظروف إلى قبولها. فهذه معاهدات دلت حوادث الزمن على فسادها، وسوء مغبتها: =

(١٤) إذا تبين للإمام مفاسد تلحق المسلمين من جراء المعاهدات وكانت تلك المفاسد تربو على مصالح بقائها وجب نبذها، ووجب أن يكون نبذها إعلانا وجهرة. اقرأ قوله تعالى في سورة التوبة:

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾ (التوبة: ٣)

هذا ما تيسر لنا في ذلك الوقت أن نستخلصه من آيات القرآن الكريم أصولا للنظام العملي للحرب. والقرآن الكريم لا تنفد ذخائره، وكلما أمعن الإنسان في إشاراته، وتأمل في دلالاته، وصل إلى جديد، وأن خير معوان لتفهم القرآن الكريم وقائع الكون وحوادث الزمن، فهي أقوى مفسر، وأوضح سبيل للوقوف على أغراضه والوصول إلى مبادئه. وأن من يتتبع ما جاء فيه عن المواقع الحربية التي قام بها الرسول. يظفر بشيء كثير من تلك الأغراض والمبادئ التي تضاعف إيمان المؤمنين بأن القرآن لم يكن إلا وحيا يوحى من عند خالق القوى العليم بطيات النفوس.

=﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

(النحل: ٩٤)

وانظر بعد ذلك فيما ترشد إليه الآية وانظر ما تقوم به أمم الحضارة الحديثة من معاهدات كانت مصدرا لنكبة للعالم. وبذلك فليعتبر أولوا الأبصار.

التطبيق العملى لأحكام القرآن فى القتال

نورد فى هذه الخاتمة التطبيق العملى لهذه المبادئ التى جاء بها القرآن الكريم فى القتال، على عهد الرسول ﷺ وخليفتيه أبى بكر وعمر، أما فيما بعد فقد انتاب المسلمون شئون داخلية وخارجية لوت عليهم السبيل فى التزام ما شرع الله من نظم وقوانين، ودفعت بهم فيما يختص بالقتال إلى دائرة أوسع مما رسم الله للجهاد فى سبيله إن أطوار حياة الرسول ومن معه من المؤمنين قبل القتال ترجع إلى:

(١) الدعوة السرية التى آمن بها نفر قليل كانت تجمعه وإياهم وشيجة الرحم أو الصداقة التى كشفت عن سمو روح النبى ﷺ وعظمة أخلاقه.

(٢) الدعوة الجهرية الموجهة إلى عشيرته الأقربين، ثم الموجهة إلى الناس أجمعين.

(٣) دور المساومة وإغراء الرسول على ترك الدعوة فى مقابلة ما يشاء من مال أو ملك وسيادة.

(٤) دور العنف والاضطهاد، وقد دون التاريخ من حوادث التعذيب ما تقشعر من ذكره الجلود.

(٥) الهجرة إلى أرض الحبشة فرارا بالدين؛ وحفظا للأرواح.

(٦) التدبير والكيد والتآمر على النبى والمسلمين بل على بنى عبد مناف عامة كى يسلموا الرسول وأصحابه ولا يحموهم من عدوان المشركين، وقد كان من آثار ذلك أن وضعوا الحصار على شعب أبى طالب، واشتدت وطأته على المسلمين، وكاد الأمر - لولا أمر الله - يقضى على روح المقاومة فيهم.

(٧) الالتجاء إلى الطائف، والتماس النجدة من ثقيف، ومقابلتهم للرسول وصحبه بالهزء والسخرية وردهم على أعقابهم.

(٨) الهجرة إلى المدينة، وقد تهيأت ظروفها بواسطة الوفود التى كانت تقدم إلى النبى ﷺ، وما كان يقوم به من عرض الدعوة على القبائل، وبهذين أخذت الدعوة تسرى بما تحمل فى طبيعتها من جلال وجمال حتى كونت لنفسها أنصارا من شباب يثرب عاهدوا الرسول ﷺ على الموت فى سبيل نشرها وحمايتها، وكان من آثار هذه الهجرة أن اشتد غيظ المشركين، وازداد حنقهم على فوات الفرصة التى كانوا يبذلون جهدهم فى الحصول عليها للفتك بمحمد وأصحابه.

(٩) دور العداوة بين المسلمين واليهود فى المدينة، فإنه لم يكد الرسول ﷺ يستقر به المقام بها حتى ظهر له أن اليهود الذين كانوا يظنهم أقرب إلى دعوته لأنهم أهل كتاب، ولأنهم كانوا يستفتحون به على المشركين من قبل فى حروبهم. ينكرون عليه دعوته ويكيدون له ولأصحابه، فحمله ذلك على أن يمد يده إليهم منعا للفتنة، وعاهدهم على أن يتركهم وما يدينون، وبهذا العهد اطمأن بعض الشىء، ووجه عنايته واهتمامه إلى أعدائه الأولين الذين أفرغوا سمومهم بعد هجرته فى أخوانه الذين قعدت بهم أحوالهم المادية عن الهجرة، والذين لم ينفكوا عن تحين الفرص للوقوف فى صدر تلك الدعوة، وتشتيت أمر القائمين بها.

(١٠) دور التحرش - قدر النبى ﷺ أنه إذا لم يعمل على نشر دعوته فى المدينة، وهو ما كلف به من ربه، لابد أن يتخذ أعداؤه المكيون سبيلا لمفاجأته والدخول عليه فى بلده الجديد، خصوصا أن اليهود الذى عاهدهم لم يكونوا من الإخلاص بحيث يأمن بقاءهم على العهد وأنه لا يبعد أن يفسحوا مجال المدينة للعدو الخارجى، وتتفق بذلك كلمتهم على مطاردة المؤمنين من المدينة؛ كما طوردوا من قبل فى مكة.

لهذا كله تهيأ الرسول وصحبه إلى منابذة خصومه وخصوم



دعوتــه أهل مكة ، وأخذ يناوشــهم ويظهر لهــم قوته . وروح العزم علـى المضى فى الدعوة والعمل على نشـرها وحمايتها . والعمل علـى إنقاذ المسـتضعفين من الرجال والنسـاء والولـدان . الذين يقولون :

﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾

(النساء: ٧٥)

وبهذه الـروح بدأ القتـال العملى بين المؤمنين والمشـركين وحصلت بين الفريقين وقائع ذكر بعضها فى القرآن الكريم . وقد كلل الله جميعها بالفتح والنصر المبين .

(١١) اليهـود ينقضون العهد : لم يسـتطع اليهود أن يطهروا قلوبهـم من أدران الحقد والحسـد . ولقـد كان توالى نعم الله على نبيـه وأصحابه المؤمنين سـببا فـى إذكاء نار العـداوة فى قلوبهم حتى دفعتهم إلى نقض العهود التى أبرموها مع الرسول ـ فعل ذلك بنو قينقاع . وبنو النضير . وبنو قريظة . واندلعت ألسنتهم جميعا بسـب الرسـول ومناوأة المؤمنين . فى وقت ما أحوجه فيه إلى قلة الخصوم . وتضييق ميادين القتال .

ولكـن هكـذا ابتلى الله المؤمنين فلم يجدوا بـدًا من أن ينبذوا إليهـم عهدهـم ، وأن يدخلـوا معهم فى طـور جديد . طـور العداء والمحاربة بعد طور السلم والمعاهدة .

هذه هى الأطوار التى مرت بالرسـول قبل الهجرة وبعدها ومنها تتضح أن مشـركى مكة كانوا محاربين للنبى من مبدأ الدعـوة ؛ وأنهم بدأوا بالعدوان وطاردوا المؤمنين المرة بعد الأخرى من ديارهم واستبدوا بالمستضعفين يذيقونهم ألوان العـذاب ومر النكال . ويتضح أن يهـود المدينة لم يقاتلهم الرسـول إلا بعـد أن نقضوا عهدهم معـه ، ووقفوا فى وجهه

كما وقف المشركون من قبل.

ومن هذا وذاك يتبين جليا أن الرسول لم يقاتل إلا من قاتله وإلا دفعا للظلم وردا للبغي والعدوان. وقضاء على الفتنة في الدين وهذا هو عين ما قررته الآيات الواردة في سبب القتال كما تقدم.

وقد كانت الحروب التي قام بها بعد الرسول ﷺ أبوبكر وعمر رضي الله عنهما تتميم بناء وضع أساسه الروم والفرس بأيديهم في عهد النبي ﷺ ولم يكن من الخليفتين سوى دفع الشر وتمكين الناس من النظر في الدعوة. وتأمين المسلمين على دينهم وبلادهم.

وجه النبي ﷺ بحكم الرسالة دعوته إلى ملوك الفرس والروم فأرسل إلى ملك الروم كتابه المشهور يدعوه فيه إلى الإسلام. ويحمله -إن تولى- إثم الأريسيين فلما ترجم له الكتاب جمع بطارقته وعظماء دولته وعرض عليهم كتاب الدعوة واستشارهم في تلبيتها.

وعندئذ حاصوا حيصة الحمر. وزأروا زئير الأسود وأظهروا كراهة موقفه من هذه الدعوة فعاد يلاطفهم ويقول لهم: إنما قلت ما قلته لأختبر صلابتكم في الدين والملك. وبذلك نكص على عقبيه وآثر الملك على الإسلام. ثم أخذ عظماؤه وبطارقته ينفثون سموم الحقد على الدعوة وصاحبها في قلوب الأمراء والأتباع.

وكان من ذلك أن شرحبيل الغساني قابل رسول رسول الله ﷺ إلى أمير بصرى - عند مؤتة - وعرف وجهته وعرف أنه من رسل محمد ﷺ، فأمر به فضربت عنقه وقد قدروا أن المؤمنين لا يمكن أن يتساهلوا في عزتهم إلى هذا الحد، فاشتد حذرهم وحشدوا من الروم ومتنصرى العرب قوة يستأصلون بها أمر محمد. ولما علم الرسول بذلك جهز جيشًا يضعف به من حدة الثائرين عليه، الهازئين بدعوته، وما كاد يصل ذلك الجيش إلى مقتل «رسوله»



حتى وجد حشد الروم على قدم واستعداد.

فاشتبك الجيشان فى موقعة حامية، استشهد فيها ثلاثة من أبطال المسلمين ولولا مكيدة حربية ألهم الله بها خالد بن الوليد ما نجا من الجيش أحد. ثم تتابعت الأخبار بأن الروم جمعوا للمسلمين الجموع واعتزموا غزوهم. فتجهز النبى ﷺ، وخرج بجيشه قبل أن يفاجئوه فى بلده.

ولما وصل إلى تبوك وجدهم قد عدلوا عن فكرتهم، فأقام النبى هناك عدة أيام صالح فيها بعض الأمراء. ثم عاد إلى المدينة يفكر فى أمر هؤلاء الذين فاتهم النصر بمكيدة خالد بن الوليد، وأنهم لابد عائدون إلى القتال. فجهز جيشا تحت أمرة أسامة بن زيد، ولم يكد يخرج هذا الجيش حتى قبض ﷺ، وتولى بعده أمر المسلمين أبوبكر الصديق، فرأى أبوبكر أن الحزم والوفاء والحكمة تقضى بإنفاذ ذلك الجيش الذى أعده الرسول ﷺ ردا لغائلة هؤلاء المعتدين. وتوالت بعد ذلك حروب المسلمين مع الروم حتى فتح المسلمون بلادهم، ومكنوا عباد الله من دين الله.

وكما تجلت الروح العدائية من الروم على هذا الوجه تجلت أيضًا من الفرس. والفرس أشد غطرسة وجبروتا من الروم، وكان ذلك حينما بعث الرسول كتابه إلى كسرى فمزقه ورمى به إلى الأرض علوا واستكبارا. وقد بلغ من كبرياء كسرى: أن أرسل لعامله باليمن أن يبعث إلى محمد برجلين جلدين يأتيان به.. وفعلا توجها إلى الرسول وأخبراه بالمهمة التى جاءا من أجلها فقال الرسول: فى هذا اليوم قتل كسرى ولما علم الرجلان صدق الرسول أسلما، وكان إسلامهما سببا فى إسلام عامل اليمن. ثم انضمت إلى اليمن بلاد البحرين وعمان وكانت كلها تحت حماية الفرس.

وهنا ظن الفرس أن انتصار المسلمين على الروم لم يكن إلا

لضعف الجيوش الرومانية فشرعوا في الإغارة على القبائل العربية المجاورة لهم، واستغلوا ملوك الحيرة في ذلك فأمعن هؤلاء في الاعتداء على المسلمين. وعندئذ سار إليهم جيش المسلمين، ونشبت بينهم الحرب حتى فر معتمد الفرس إلى المدائن وبذلك خضع ملوك الحيرة للمسلمين وقد أشعل ذلك نار الحقد في قلوب الفرس على المسلمين. وتذكروا جبروتهم، وألفوا جيشًا لإخراج المسلمين من بلادهم، فدارت رحى الحرب بينهم وبين المسلمين زحف في نهايتها المسلمون على بلاد الفرس وبذلك سقط عرش كسرى ودانت لأولياء الله جميع البلاد الفارسية.

من هذا العرض الوجيز يتبين أن المسلمين في الصدر الأول ما كانوا يفاجئون قوما بحرب إلا بعد أن يظهر منهم روح العداء ومعارضة الدعوة والوقوف في وجهها، والتحقير من شأنها. وأنهم كانوا متى تبين لهم ذلك الروح العدائي وأيقنوا بخطره عليهم وعلى الدعوة سارعوا إلى إخماده، والقضاء عليه قبل أن يستفحل أمره. ويمتد شره وما كانوا ينتظرون حتى يهاجمهم العدو في بلادهم. وذلك جريا على القاعدة الاجتماعية الفطرية: «ماحورب قوم في عقر دارهم إلا ذلوا» ومع هذا كان من تعاليمهم إذا وصلوا إلى أرض العدو الذى عرفوا عناءه أن يخيروه في واحد من ثلاثة: الإسلام، أو الجزية، أو القتال وذلك رجاء أن يعود إلى نفسه، ويراجع قلبه. فينتزع منه بالحكمة روح العداء والمخاصمة. اقرأ إن شئت قوله عليه الصلاة والسلام، من وصاياه لأمراء جيشه «إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى خصال ثلاث» لتعلم أن روح العداء سابق على إنفاذ الجيش. وأن التخيير لم يكن إلا بدافع الرجاء في السلم والعدول عن روح العداء.

وكما يتبين هذا من ذلك العرض يتبين أيضا أن الحروب التى قام بها المسلمون في الصدر الأول لم تكن بقصد إكراه الناس

على الدين ولا بقصد تسخير الشعوب وإذلالها، ولا بدافع الطمع في المال وسعة الملك والسلطان.

وإنــه ليجدر بالناس أن يرجعوا إلى تشــريع القــرآن في معاملة من لا يدينون بالإســلام مــن أهل العهد والذمة كمــا يجدر بهم أن يقــرأوا ســيرة الخلفاء الراشــدين والأمــراء العادلين مــع الذين لا يدينون بالإسلام. وسيعلمون عن حجة وبينة، لا عن ظن وتخمين ـ مقدار ســماحة الإســلام فــى معاملة رعايــاه من غير المســلمين ومحبته للســلم العام، والتضامن الإنسانى سيعلمون مبلغ السمو فى تشــريعه الإنسانى العام الذى جذب قلوب الناس إليه عن طوع واختيار، والذى عاش فــى كنفه غير المتدينين به قرونا متطاولة. لا يشكون ضيما. ولا يبخسون حقا[١٥].

ولعل القارئ ـ بعد هذا ـ لا يخالجه شــك فى أن القرآن والعمل النبــوى متضامنــان على تقريــر نظرية القتــال علــى الوجه الذى تضمنته هذه الرســالة ونرجو من الله ســبحانه أن يهيئنا للقيام بما يوجبــه علينا الديــن من التبليغ لأحــكام الله وهدايتــه التى تكفل للمسلمين العز والكرامة، إنه سميع مجيب.

محمود شلتوت

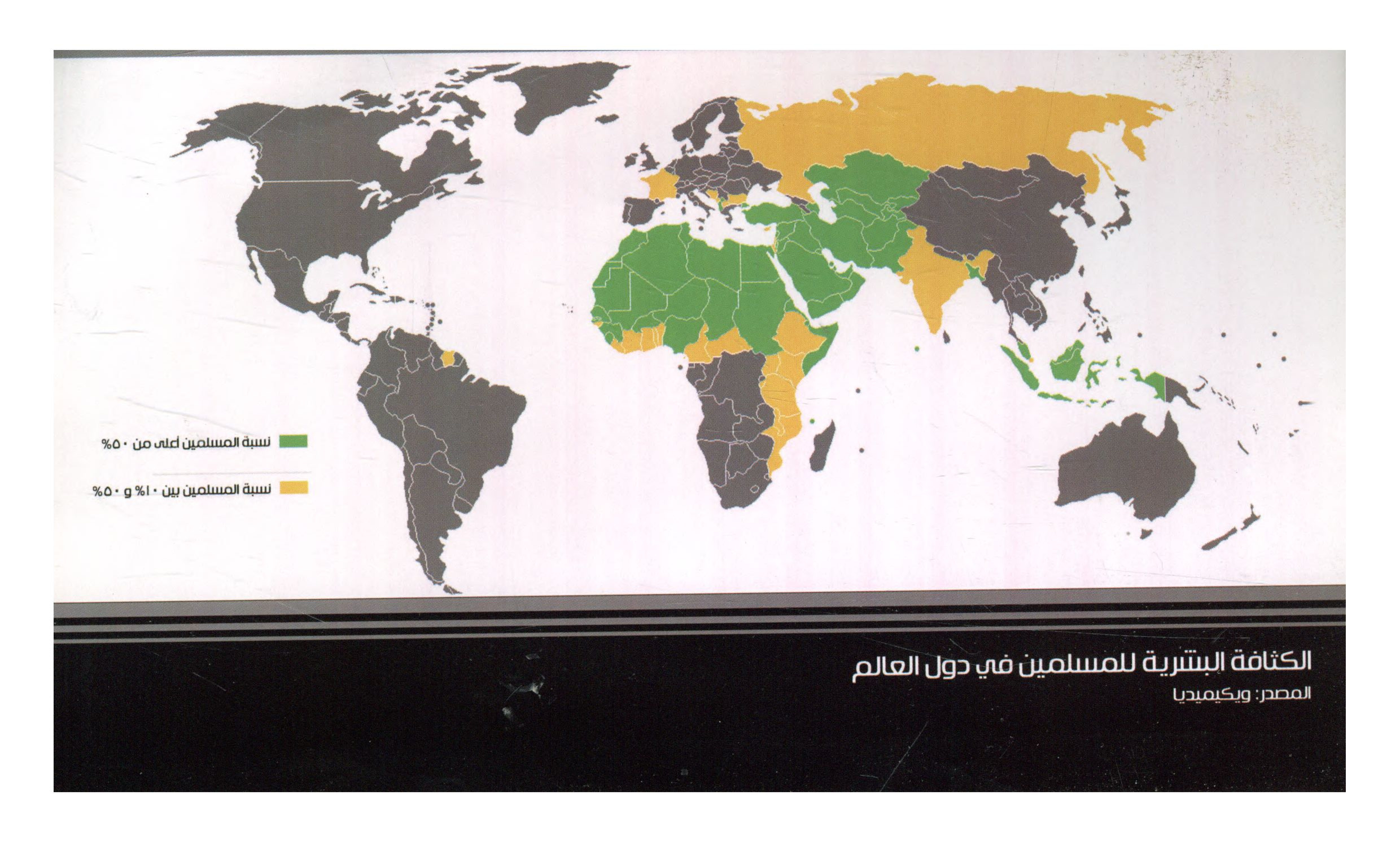
● ٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ هـ

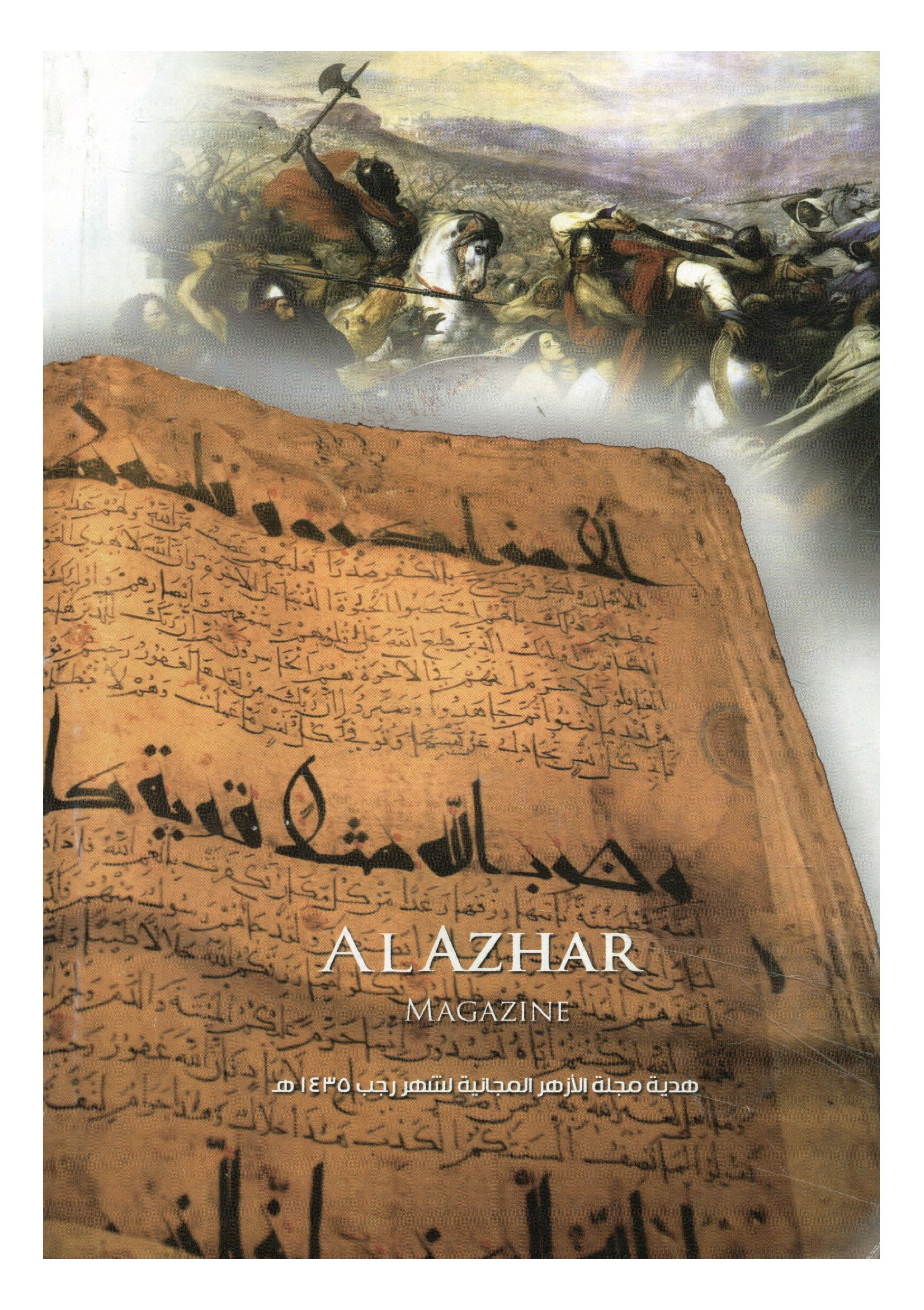
١١ من يونيه سنة ١٩٤٠م.

---

(١٥) لخصت هذه الخاتمة مــن محاضرة ألقيت بجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة وطبعتها المطبعة السلفية سنة ١٣٥٢هجرية.

الفهرس


نسبة المسلمين أعلى من ٥٠%
نسبة المسلمين بين ١٠% و ٥٠%
الكثافة البشرية للمسلمين في دول العالم
المصدر: ويكيميديا


ALAZHAR
MAGAZINE
هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر رجب ١٤٣٥ هـ